

# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

## Orthodox Archdiocese of Beirut

### الرسالة

(عبرانيين ٢: ١١-١٨)

يا إخوة إنَّ المقدَّس والمقدَّسين كلُّهم من واحدٍ. فلهذا السبب لا يستحي أن يدعَوْهم إخوة قائلًا: سأخبر باسمك إخوتي وأسبِّحك في الكنيسة\* وأيضاً سأكون متوكِّلاً عليه. وأيضاً هاءنذا والأولاد الذين أعطانيهم الله\* إذا إذ قد اشترك الأولاد في اللحم والدَّم اشترك هو كذلك فيهما لكي يبطل بموته مَنْ كان له سلطان الموت أي إبليس\* ويعتق كلَّ الذين كانوا مدَّة حياتهم كلُّها خاضعين للعبوديَّة مخافةً من الموت\* فإنه لم يتخذ الملائكة قطُّ بل إنّما اتخذ نسل إبراهيم\* فمن ثم كان ينبغي أن يكون شبيهاً بإخوته في كلِّ شيء ليكون رئيساً كهنةً رحيماً أميناً فيما لله حتى يكفّر خطايا الشعب\* لأنه إذ كان قد تألم مجرباً فهو قادرٌ على أن يُغيث المصابين بالتَّجارب.

### حوار البشارة

لقد عودتنا الليتورجيا الأرثوذكسية أن تكون غنيّةً بشتّى أنواع التعليم، بالإضافة إلى تنوع أدوات التعليم. من هذه الأدوات يلفتنا قانون سحر عيد بشارة سيّدتنا والدة الإله الفائقة القداسة، الذي يستعمل فيه كاتبه القديس يوحنا المتوحّد طريقة الحوار

التعليمي بين رئيس الملائكة جبرائيل والدة الإله، هذه الطريقة نفسها التي نجدها في خدمة المديح الذي لا يجلس فيه، المرتبطة ارتباطاً وثيقاً

بعيد البشارة إذ كانت تُقام أساساً في هذا العيد. لا شك في أن هذه الحوارية مستوحاة من النص الإنجيلي (لو ١: ٢٦-٣٨) حيث يقوم حوار بين العذراء مريم والملاك المرسل من السماء ليقول لها: «إفرحي» (البيت الأوّل من المديح). يحمل قانون سحر عيد البشارة عدّة تعاليم تصل أسماعنا على شكل حوار، حيث العذراء تسأل والملاك يجيب، وحيث العذراء تظهر فتاة خائفة والملاك يطمئنّها: «السيدة: عرفني أيها الملاك قوّة كلامك... كيف أحبل وأنا فتاة

عذراء، أم كيف أصير أمّاً لخالقي؟ - الملاك: تقي واطمئني أيتها السيدة فقد يلوح لك أنني أخاطبك بغشٍ...» (الأودية الأولى). يبدو لنا أن هذه الأودية الأولى من القانون تردّ على مَنْ يشكّون ببتولية العذراء وبحبلها الإلهي فيأتيهم جواب الملاك: «لأنه إذا شاء الإله أتمّ الأمور المستغرّبة بسهولة».

الأودية الثالثة تُظهر لنا العذراء

عارفة بالتوراة وقارئتها الكتب المقدّسة وضليعة بالتعاليم الدينية كيف لا وجدها كاهنٌ وقد تربّت في الهيكل!:

العدد ٢٠١٢/١٣

الأحد ٢٥ آذار

الأحد الرابع من الصوم

أحد القديس يوحنا السلمي

ذكرى بشارة والدة الإله

اللحن الثامن

إنجيل السحر الثامن

«السيدة: إن أمي الأولى لما تقبلت مشورة الثعبان طردت من النعيم الإلهي فلذلك أجزع من تحييتك الغريبة خوفاً من السقوط». يمكننا أن نتعلم من هذه القطعة أيضاً أن الشيطان يمكنه أن يظهر بهيئة ملاك نور وهذا ما كانت العذراء تخشاه إلى أن طمأنها الملاك: «إني أنا المائل أمام الله قد أرسلت لأخبرك بالقصد الإلهي فما بالك تخافين يا بريئة من كل عيب...». كما يظهر لنا أصلها الذي من سبط يهوذا إذ نقرأ كيف تنتظر المسيح الملك والمخلص الذي ينتظره اليهود كافة الذين اعتقدوا أن

## الإنجيل

(لوقا ١: ٢٤-٣٨)

في ذلك الزمان حبّلت أليصابات امرأة زكريا فاخترت خمساً أشهر قائلة هكذا صنع بي الرب في الأيام التي نظر إليّ فيها ليصرف عني العار بين الناس\* وفي الشهر السادس أرسل الملاك جبرائيل من قبل الله إلى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود واسم العذراء مريم\* فلما دخل إليها الملاك قال: السلام عليك أيتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة أنت في النساء\* فلما رآته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن يكون هذا السلام. فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم فإنك قد نلت نعمة لدى الله، وها أنتِ تحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا سيكون عظيماً وابن العلي يدعى وسيُعطيه الرب الإله عرش داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه انقضاء\* فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجالاً\* فأجاب الملاك وقال لها: إن الروح القدس يحلُّ عليك وقوة العلي تظلك ولذلك

المسيح المنتظر سينقذهم ويجعلهم أشدّاء في الحروب، لكنه جاء لينقذهم بطريقة ثانية، أي على الصليب: «السيدة: لقد فנית الرئاسة من يهوذا فحان الزمان الذي فيه يظهر المسيح رجاء الأمم...».

أمّا الأودية الرابعة فتحمّل تعليمًا لاهوتياً وعقائدياً غايةً في الأهمية عن طبيعتي المسيح حيث تسأل السيدة: «... أرغب إذاً أن أعرف كيف تحتمل الطبيعة البشرية الامتزاج باللاهوت»، والملاك يجيبها: «... إن العليقة التي تقبلت اللهب ولبثت غير محترقة قد رسمت السر الذي فيك الغامض الوصف لأنك ستلبثين بعد الولادة نقيّة دائمة البتولية». كما نجد في هذه الأودية تعليماً عن بتولية العذراء بعد الولادة إذ تسأل العذراء: «كيف ألد بالجسد الكلمة العادم الجسد وتستمر نقاوتي بلا فساد؟»، فيجيبها جبرائيل: «... لأن الكلمة ينحدر عليك كانحدار المطر على الجزة كما سر هو».

تحمّل الأودية الخامسة في طياتها تعاليم كتابية عن أن أقوال الأنبياء سبقت فصوّرت العذراء بالرموز والإشارات الناموسية، كما تبين لنا أصل العذراء الملوكي إذ تنحدر من سلالة النبي داود الملك: «الملاك: إن الذي وعد داود جدك أن من ثمرة بطنه يجعل على كرسي ملكه قد اختارك وحدك مسكناً له حياً ناطقاً...». أمّا الأودية السادسة فتتكلّم على العذراء «حواء الجديدة» التي بها انعتقت الأم الأولى حواء، وعلى تحقيق وعد الله لإبراهيم الذي تحقق بالعذراء مريم: «السيدة: إن القضاء المحكوم به على حواء قد اضمحل الآن بسببي... الملاك: إن الله وعد إبراهيم أبا الآباء أن تتبارك الأمم بنسله، فالיום قد نجز الوعد فيك أيتها النقيّة».

نجد في الأودية السابعة جزءاً من الرموز التي تحدّث بها الأنبياء عن والدة الإله: «المنارة، الجبل غير المقتطع منه المصباح، تابوت العهد...» أمّا الأودية الثامنة فتحمّل لنا قبول العذراء بأن تكون أمة الرب ووالدته بعد جدالٍ أخير حول الفرق بين الولادة البشرية التي «تنطبق على ولادة البشر المائتين» وبين ولادة الإله الحقيقي الفائقة العقل والوصف. في النهاية، إذا أردنا أن نتعلّم أكثر عن إلهنا ووالدته وقديسيه فعلينا قراءة الكتاب المقدس وسير القديسين، بل علينا أيضاً أن نصغي إلى ما يتلى على مسامعنا من قراءات وتراتيل خلال الصلوات إذ إن ليتورجيتنا تحمل غنى لاهوتياً يغنينا متى فهمناه وحفظناه.

## العذراء في الكتاب المقدس والمديح

في مساء يوم الجمعة من الأسبوع الخامس من الصوم نقيم في الكنيسة خدمة المديح الكبير الذي لا يجلس فيه، وكنا قد تلونا أبياته مقسّمة إلى أربعة أجزاء في الأسابيع الماضية. في القديم، أي ما قبل سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣، كانت خدمة المديح تقام يوم عيد البشارة. فالأبيات الأربعة والعشرون هي قنداق عيد البشارة. وهذا جلي من فحوى الأبيات التي تتحدث عن بشارة العذراء وذهابها إلى أليصابات، ثم ولادة الطفل يسوع والهرب إلى مصر والعودة من هناك. بعد هذا التاريخ صارت خدمة المديح تقام ضمن صلاة سحر السبت الخامس من الصوم وما زالت موجودة في كتبنا الليتورجية (التريوذي) على هذا النحو. إلا انه

فالقُدوس المولود منك يُدعى ابن الله\* وها إن أليصابات نسيبتك قد حَبِلت هي أيضاً بابن في شيخوختها وهذا الشهر هو السادس لتلك المدعوّة عاقراً\* لأنه ليس أمرٌ غير ممكن لدى الله\* فقالت مريم ها أنا أمةٌ للرب. فليكن لي بحسب قولك. وانصرف الملاك من عندها.

## تأمل

اليوم خالق كل شيء والله الكلمة، قد أُلّف كتاباً جديداً برز من قلب الأب، وقد أعطي لرجل كان يعرف الحروف ولكنه لم يقرأه، لأن يوسف لم يعرف مريم البتّة في الواقع، ولا معنى السر نفسه. فيا ابنة يواكيم وحنّة الكليّة القداسة، يا ابنة الله المحبوبة وشرف والديك، إن أجيال الأجيال تغبّطك بالحقيقة يا ابنة لائقة بالله وجمال الطبيعة الإنسانية، يا إعادة الأهلية لحواء أمنا الأولى! لأن تلك التي سقطت قد أنهضت من جديد بولادتك، أيتها الابنة الكليّة القداسة وبهاء الجنس الأنثوي! ففي الواقع، إذا ما كانت حواء الأولى مذنبّة بالتعدّي وإذا كان بها قد «دخل الموت» لأنها جعلت نفسها في خدمة الحيّة ضدّ أبينا الأول، فمريم التي جعلت

ولسبب رعائي بحت ولكي يستطيع أكبر عدد من المؤمنين الإشتراك في هذه الخدمة صارت تقام مساء يوم الجمعة ضمن صلاة النوم الصغرى. في هذه الخدمة، في قسميها، الأودية والأبيات، هناك الكثير من الصور الكتابية التي استعملها ناظمو هذه التسابيح وأوا فيها رمزاً لوالدة الإله. ومن بين هذه الصور:  
+ السِّلْمُ السَّمَاوِي:

يرد في سفر التكوين ان يعقوب ابن اسحق ابن ابراهيم «رأى حلماً وإذا سَلْمٌ منصوبة على الأرض ورأسها يَمَسُ السَّمَاءَ، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها. وهوذا الرب واقف عليها» (تك ٢٨: ١٢-١٣). وقد رأت الكنيسة في مريم صورة هذه السِّلْمِ التي تصل الأرض بالسماء إذ بها يرتقي البشر إلى العلى، لكون العذراء وصلت الأرض بالسماء بولادتها الرب يسوع الإله المتجسد فخلص العالم. نرتل في المديح «إفرحي أيتها السلم المصعدة الكل بالنعمة من الأرض إلى السماء» (الأودية ٤)، «إفرحي يا مَنْ بها ارتقيننا من الأرض إلى السماء» (الأودية ٨)، «إفرحي يا سلماً سماوياً بها انحدر الإله، إفرحي يا جسراً ناقلاً الذين في الأرض إلى السماء» (البيت ٣).

### + باب المقدس:

من القراءات الكتابية التي نقرأها عشية أعياد والدة الإله قراءة من نبوءة حزقيال النبي تتحدث عن «باب المقدس الخارجي المتجه للمشرق وهو مغلق. فقال لي الرب هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إليه إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً» (حز ٤٤: ١-٢). الكنيسة رأت ان

مريم هي هذا الباب المغلق إذ انها ولدت الرب يسوع وبقيت عذراء كما كانت قبل الولادة وخلالها. نرتل في المديح: «إفرحي أيتها الباب وحدك الذي فيه اجتازت الكلمة وحده» (الأودية ٣)، «إفرحي يا باباً للسر المكرّم ... إفرحي يا مَنْ أقرنت البتولية والنفاس... إفرحي يا مفتاح ملكوت المسيح» (البيت ٥)، «ان الخالق لما ظهر أوضح لنا نحن الصائرين منه خليقة جديدة، إذ أفرع من بطن عادم الزرع وحفظه خلوا من فساد كما كان» (البيت ١٣).

### + العليقة الملتهبة غير المحترقة:

ترد صورة هذه العليقة في العهد القديم في إحدى القراءات التي تتلى ليلة عيد البشارة (خروج ٣)، حيث يظهر الملاك لموسى وهو واقف في وسطها، فنظر موسى «وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق... ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى» (خروج ٣: ٢ و٤). الكنيسة رأت في هذه العليقة الملتهبة وغير المحترقة صورة مريم لأنها حملت في أحشائها نار اللاهوت، الرب يسوع، ولم تحترق بل بقيت عذراء. نرتل في المديح: «إفرحي أيتها العليقة غير المحترقة» (الأودية ٦)، «أيتها البتول القديسة البريئة من الفساد، ان موسى أدرك في العليقة سر مولدك العظيم، والفتية سبقوا فرسموا ذلك بأجلى بيان، بانتصابهم في وسط النار وعدم احتراقهم» (الأودية ٨). أيضاً لدينا صورة الفتية الثلاثة في العهد القديم الذين رماهم نبوخذ نصر في أتون النار ولم يصبهم شيء، بل خرجوا بقدرة الله سالمين (دانيال ٣). هذه الصورة تشير إلى ان العذراء

نفسها خادمة المشيئة الإلهية، قد خدعت الحيّة الخداعة وأدخلت الخلود إلى العالم.

فيا أيتها الابنة الدائمة البتولية، التي استطاعت أن تحبل دون تدخل بشري! لأن ذلك الذي حبلت به لديه أب أزلي. يا ابنة النسل الأرضي، التي حملت الإله الخالق على ذراعيها كأم. الدهور كانت تتنافس لمعرفة أيّ منها سيشرق برويتك وأنت تلدين، لكنّ تصميم الله المثبت سلفاً، هو الذي «صنع الأزمنة»، قد وضع حداً لمنافستهم، والآخرين أصبحوا الأولين، هم الذين آل إليهم سعد ولادتك. في الحقيقة أنت أئمن من كلّ الخليقة، لأنّ منك وحدك قد اقتبل الله نصيب بواكير مادتنا الإنسانية. فجسده قد صنع من جسدك ودمه من دمك. لقد اغتذى الله بلبنتك وشفقتك قد لامستا شفقتي الله. إنها لعجائب لا تعقل ولا توصف! فإله الكون قد أحبك في سابق العلم بكرامتك، وكونه كان يحبك، قد سبق فاخترتك، ودعاك إلى الوجود «في الأزمنة الأخيرة»، وأنشأك أمّا لتلدي لها وتغذي ابنه الخاص وكلمته.

القديس يوحنا الدمشقي

ولدت ابناً وبقيت عذراء لم يمسه فساد. «افرحي يا مَنْ أطفأت أتون الضلالة... افرحي يا مَنْ كفت السجود للنار، افرحي يا مُنجية من سعي الآلام» (البيت ٩). العذراء بإنجابها الرب يسوع أطفأت أتون الضلالة وأبعدت البشر عن عبادة الأوثان، ونجونا جميعاً من نار جهنم المحرقة، لأن بها صارت إمكانية النجاة من الخطيئة.

#### + الجزة المنذاة:

نقرأ في سفر القضاة ان جدعون عندما أراد أن يعرف إن كان الله سيخلص العبرانيين من المديانيين، سأل الله أن ينزل ندى على جزة الصوف التي سوف يضعها خارجاً، «فبكر في الغد وضغط الجزة وعصر طلا من الجزة ملء قصعة ماء» (قضاة ٦: ٣٨). مريم هي الجزة المنذاة التي نزل عليها كلمة الله كالندى وصارت علامة لخلاص كل البشر وليس إسرائيل فقط. «لقد قطر منك الندى الذي أحمده لهيب كثرة الآلهة، فلذلك نهتف إليك قائلين: افرحي أيتها البتول الجزة المنذاة، التي سبق جدعون فعاينها قديماً» (الأودية ٦).

هناك صور أخرى كثيرة نوردها باختصار. فالفردوس القديم الحاوي في وسطه شجرة الحياة (تك ٢: ٩) هو صورة للعذراء مريم التي منها ولد الرب يسوع مصدر حياتنا وخلصنا. «افرحي ايتها السيدة... يا فردوساً متنفساً حاوياً في وسطه الرب عود الحياة، الذي حلاوته تحيي الساقطين في الفساد» (الأودية ٥). هي السفينة التي خلصت البشر من طوفان الخطيئة، وذلك مقابل صورة سفينة نوح في العهد القديم (تك ٥): «افرحي يا

سفينة للذين يؤثرون الخلاص» (البيت ١٧)، «افرحي يا بريئة من كل عيب، يا مَنْ ولدت طريق الحياة وخلصت العالم من طوفان الخطيئة» (الأودية ٥). وكما ان لوعي الشريعة، أي الوصايا العشر، وضعاً في تابوت عهد الله الذي يسير أمام الشعب العبراني في ترحاله في صحراء سيناء (خر ٢٥)، هكذا العذراء هي التابوت الذي حوى في داخله الرب واضع الشريعة: «السلام عليك أيتها السيدة يا مَنْ ولدت الواضع الناموس الذي يمحو آثام الكل مجاناً» (الأودية ٤)، «افرحي يا تابوتاً مذهباً بالروح» (البيت ٢٣). وكما كان الرب يقفاد الشعب في الصحراء بواسطة السحابة نهاراً والعمود الناري ليلاً (خر ١٣: ٢٠-٢٢) وكان يطعمهم المن، هكذا قادت العذراء المؤمنين نحو أرض الميعاد، نحو الخلاص، وأعطتهم الطعام السماوي الرب يسوع: «افرحي يا عموداً نارياً مرشداً للذين في الظلام، ... افرحي يا غذاء بدلاً من المن، ... افرحي يا أرض الميعاد، افرحي يا مَنْ يدرّ منها اللبن والعسل» (البيت ١٠)، «افرحي يا عموداً نارياً مدخلاً البشر إلى الحياة العلوية» (الأودية ٩). هي «السحابة الكلية الضياء التي تظلل المؤمنين دائماً» (الأودية ٦). أخيراً، لقد رأيت الكنيسة في عصا هرون التي أفرعت صورة العذراء التي حبلت من دون زواج: «افرحي ايتها العصا السرية يا مَنْ أفرعت وحدها الزهرة التي لا يعترتها نبول» (الأودية ٧).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

[www.quartos.org.lb](http://www.quartos.org.lb)